النبوة عند سبينوزا

م.د.مرفت طاهر كوكز (*)

الكلمات المفتاحية:النبوة،سبينوزا،المعرفة، اليقين، لاهوت، العهد القديم

الملخص

البحث يتحدث حول النيوة عند الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا، تحديد التوجه الفكري سبينوزا على غرار ذلك التحول الذي عرفته عرفت أوروبا مع فجر عصر النهضة والتحول في نمط الحياة هناك في مختلف المجالات، وخاصة الجانب حركة الإصلاح الفكري والديني التي ثارت ضد ممارسات الكنيسة وسيطرت على جميع جوانب الحياة الفرد الأوروبي، الأخير الذي بدأت رحلته التحررية ظهور الميول الإنسانية التي صنعته الإنسان هو محور اهتمامها، وما ساعده أيضا في توجيهية هو ظروف الحياة في هولندا التي ساعدت في نوع من حرية الفكر، حتى لو كان ملجأ للمظلومين في بلادهم.

ويتطرق البحث ايضا إلى الحديث عن العهد القديم وكيف استخدم العديد من المصطلحات للإشارة إلى معنى واحد، وأهمها: الرائي، الناظر، رجل الله، حالم الأحلام حارس، ملاخ يهوه، الراعي، رجل الروح ....، وصلت إلى المفهوم النهائي من كلمة النبي.

ويذهب البحث الى كيف يمكن معالجة النبوة والمعرفة واليقين إما فلسفيا أو لاهوتيا، وخاصة بفكر سبينوزا. في ختام بحثا، تلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وبطبيعة الحال، لا تكاد جميع الأبحاث تخلو من معوقات وصعوبات على غرار بحثنا هذا الذي واجهه صعوبات تتعلق بقلة وندرة المراجع في اللغة العربية تتعلق بفكر هذا الفيلسوف وصعوبة ترجمة مراجع من لغة أجنبية دون أن ننسى صعوبة فهم هذه الفكر الذي يتصف بالغموض ويحتاج لدراسة تحليلية فلسفية عميقة، ونأمل في النهاية أن نفيد ونستفيد حتى لو كان بالشيء اليسير.

(*) الجامعة المستنصرية - كلية الاداب

المقدمة

تتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول التعرف على موقف سبينوزا من النبوة وصلتها بالمعرفة واليقين، كما تُسهم في تزويد الباحثين بمعرفة بهذا الفيلسوف وتوجهاته الفكرية في هذا الموضوع . ولهذا تضمنت الدراسة مشكلات تتعلق بأسئلة مهمة : من هو سبينوزا؟ وكيف كان موقفه من النبوة؟

وماهي أبرز معطيات الفكر السبينوزي من المعرفة واليقين ؟ هذه الاسئلة المهمة التي على وفقها تكون خطة البحث.

فالخطة تتضمن أولاً : التعريف بالفيلسوف سبينوزا وثانياً : تعريف النبوة ببيان معناها في اللغة العربية والعبرية واللغات الأوربية وتعريف سبينوزا لها ومفهومها بالعهد القديم والجديد.

وثالثاً : طبيعة النبوة واهتمام سبينوزا بمسائل النبوة ورابعاً : الصلة بين النبوة والمعرفة واليقين ومنهجه بالمعجزة فضلاً عن الخاتمة والمصادر والمراجع.

وقد اتبعت المنهج التحليلي الوصفي في الدراسة لتحليل الموضوع والكشف عن التوجه الديني للفيلسوف وإظهار مدى تأثير في فلسفة الحديث المعاصر، لتحقيق بعض الأهداف المرجوه من هذا البحث ولفت الانتباه لفكره الامر الذي جعلني أعتمد على المصادر الأساسية ومنها رسالة في اللاهوت وكتاب رسالة في أصلاح العقل فضلاً عن المراجع الاخر .

واخيراً وبطبيعة الحال لابد من مصاعب تواجه كل بحث ومنها بحثنا لكنا وبتوفيق من الله تجاوزناها وانجزنا العمل عسى أن يكون مقبولاً عند اهل الخبرة فقد بذلت جهدي وفوق كل ذي علم عليم .

أولاً : التعريف بالفيلسوف (سبينوزا)

باروخ سبينوزا : (Baruch Spinoza) هو فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن ١٧، ولد باروخ سبينوزا في ٢٤ نوفمبر ١٦٣٢ في الحي اليهودي في أمستردام، في عائلة من التجار الأثرياء من أصل إسباني أو برتغالي، تعلم في المدرسة اليهودية ودرس اللاهوت والتجارة، وميز سبينوزا بين المعرفة العقلانية والبديهية، وتوفي في ٢١ فبراير ١٦٧٧ في لاهاي.

وانماز سبينوزا باستقامة أخلاقه وخط انقبه نهجا فلسفي يعتبر أن الخير الأسمى يكون في (الفرح المعرفة) أي في " اتحاد الروح بالطبيعة[١]».

إن حياته على قصرها كانت حياة خصبة غنية بما أنتجه إبانها من الكتب والرسائل وما خلفه من الخطابات التي دارت على كثير من المسائل، وكلها مرآة لما عرفه وأخذ عنه وتأثر به من كت وعقائد ومذاهب سابقة عليه أو معاصرة له من ناحية، وصورة معبرة أصدق تعبير عن أفكاره التي ابتكرها هو من ناحية أخرى.

وفي مطلع شبابه كان مرافقاً مع فلسفة رينيه ديكارت (١٥٩٦ – ١٦٥٠) عن ثنائية الجسد والعقل باعتبارهما شيئين منفصلين، ولكنه عاد و غير وجهة نظره في وقت لاحق وأكد أنهما غير منفصلين، لكونهما كياناً واحداً[٢] واعتقد سبينوزا أن هناك « جوهراً « واحذا فقط، لأنه

لأنهائي ويشمل الجميع. حيث يقول سبينوزا في تعريف الجوهر : ((أعني بالجوهر ما يوجد في ذاته ويتصور بذاته، أي ما لا يتوقف بناء تصوره على تصور شيء آخر))[٣].

وأهم الكتب التي ألفها كتابه (الأخلاق) الذي ألفه سنة ١٦٧٧، ويهتم فيه بتقديم الآثار المترتبة على طبيعة الله في سعادة البشرية، وقد تكون مفاجأة إذا قلت إن هذا العمل له علاقة وطيدة بعصرنا، وأنه أيضا قد ساعدنا في فهم بعض المواضيع المعقدة في العلم المعاصر.

وبإيجاز خلف سبينوزا آثاراً فلسفية انطوت على كثير من الأفكار الإنسانية :

مبادئ فلسفية رينيه ديكارت مبرهنة بالطريقة الهندسية سنة ١٩٩٣ وقد شفع أسبينوزا هذه الرسالة برسالة أخرى في الأفكار الميتافيزيقية.

الرسالة اللاهوتية . السياسية ١٩٧٠ م. وقد انتقد فيها التفسير المالوف للكتاب المقدس، ثم رفض الإيمان بالإله كما يصفه العهد القديم وآمن باله أوسع رحمة في عهد جديد من منه. والعهد الجديد سبينوزا هو كتابه الشهير في الأخلاق.

رسالة في الله وفي الإنسان ١٦٦٠م

رسالة في إصلاح العقل

الرسالة السياسية سنة ١٦٧٥، سنة ١٦٧٧م، وهذه الرسالة كتاب عام في السياسة العقلية والسياسية.

الخطابات

علم الأخلاق على النهج الهندسي، وهو أهم كتب أسبينوزا وأصدقها تصويرا لمذهبه ومنهجه، وقد اشتغل بإعداده وتأليفه وتنقيحه طوال سنين عدة من حياته، ولكنه لم يجرؤ على نشره إبان حياته خشية الفتنة، فنشر الكتاب بعد مماته[٤].

ثانياً : تعريف النبوة

جاء في اللسان العربي على الطلوع والخروج والخبر مادة (ن، ب، أ)، فقد جاء في الصحاح قوله: ((... نبأتُ على القوم أَنْبَأُ نَبْأً ونبؤا، إذا طلعت عليهم.. ونبأت من أرض إلى أرض، إذا خرجت منها إلى أخرى ... ونَبَأَتْ به الأرض: جاءت به ... والنبأ : تدل على الخبر ... ومنه أخذ النبي لأنه أنبأ عن الله، فهو فعيل بمعنى فاعل))[٥].

و((النبيء على فعين: الطريق الواضح [٦].

((وفي اللغة العبرية : تعني نبوة وتنبؤ، والفعل يعني تنبأ وتكهن))[٧].

((ويقال في العبرية: أي نبي صادق، أما فهر المتنبئ أو مدعي النبوة أو النبي الكاذب[٨].

وبهذا يكون معنى النبي هو من يتكلم او ينطق بالنيابة عن جهة ما ويعرف سبينوزا النبوة على أنها ((المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما، والنبي هو مفسر ما يوحي به الله لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية))[٩]. ويقول أيضاً : ((ينتج من التعريف الذي قدمناه من قبل أن النبوة تتطابق تماماً مع المعرفة الفطرية لأن ما تعرفه بالنور الفطري يعتمد على معرفة الله وحدها وعلى احره الأزلية ... ولكن المعرفة الفطرية لا تقل مطلقاً عن المعرفة النبوية من

حيث يقيمها الذي تتميز به))[١٠].

يلفه شيء من الاضطراب واللبس بسبب الاستعمال متداخل المعاني الكلمتي حيث تدلان على النبوة والكهانة والرجم بالغيب والتحدث باسم جهة ما، فالنبي ((من يتحدث باسم الإله، أو من يتحدث الإله من خلاله، أو من يتكلم بما يوحي به الإله، أو من يدعوه الإله))[١١].

بل إن النبوة تتداخل أحيانا مع مفهوم الألوهية كما هو واضح في سفر الخروج، لذا يحاول سبينوزا إزالة هذا الالتباس. انطلاقا من نظريته في مفهوم النبوة والنبي - بأن هارون حينما يفسر كلام موسى لفرعون فإنما يقوم بدور النبي، وأن موسى يقوم بدور الإله[١٢].

المعاني المستعملة في النص المقدس التي تؤدي لمعنى النبي :

أ - رجل الله : حيث ورد هذا الوصف للنبي أليشع : (فَاغْتَاظَ عَلَيْهِ رَجُلُ الله)[١٣].

ب – الرائي : وقد ورد هذا الوصف في مواضع متعددة منها (هَلُمَّ نَذْهبُ إلى الرَّائِي)، لأن النبي اليوم كان يدعي سابقاً الرائي))[١٤].

ج - كما تستعمل العبرية أيضا لفظ (حوزيه) للدلالة على معنى التبي، الرائي، الناظر، العراف، الراجم بالغيب الرسول[١٥].

د - أما باروخ سبينوزا فيرى أن النبي هو خطيب ومفسر للوحي: النبوة أو الوحي هي المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما. والنبي هو مفسر ما بوحي الله به الأمثلة من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية به، ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحدد. ويسمي العبرانيون النبي نبيا أي خطيباً ومفسراً[١٦].

النبوة في العهد الجديد :

يطلق العهد الجديد لفظ التبي تارة على المسيح، وتارة أخرى على أتباعه، كما يطلق أيضا على الكذابين من أدعياء النبوة.

ويستعمل العهد الجديد لفظ المعلم Lemaitre مما يوحي بتداخل معاني المفردات الثلاثة (النبي، الرسول، المعلم) وتقاطعها[١٧].

فيوحنا هو المعلم افجاؤوا إلى يوحنا وقالوا له: يا معلم ... "[١٨]، ويسمي نفسه رسولا "... ما أنا المسيح، بل رسول قدامه..."[١٩]، ويصفه المسيح بأنه رسوله قولوا لي: ماذا خرجتم تنظرون؟ أنبيا؟ أقول لكم: نعم، بل أفضل من نبي. فهو الذي يقول فيه الكتاب: أنا أرسل رسولي قدامك...»[٢٠].

وأطلق العهد الجديد على كل من بولس وبرنابا وصف الأنبياء والمعلمين((وكان في كنيسة أنطاكية أنبياء ومعلمون هم: برنابا وشمعون الذي يدعى نيجر، ولوقيوس القريني، ويتناين وهو صديق الوالي هيرودس من الطفولة، و شاول))[٢١]، وفي موضع آخر من أهم رسولين ولما عزم اليهود وغير اليهود، ومعهم رؤساؤهم، أن يهينوا الرسولين ويرجموهما»[٢٢].

وخصص سبينوزا فصلا كاملا تحت عنوان (مبحث فيما إذا كان الحواريون قد كتبوا رسائلهم بوصفهم حواريين وأنبياء أم بوصفهم معلمين، ثم دور الحواريين[٢٣]، تحدث فيه عن الفرق بين الحواري / الرسول والنبي، ومما جاء فيه: ((فيمكننا إذن أن تتساءل إن

كان الحواريون في الرسائل يتحدثون بوصفهم أنبيـاء أو يعلمـون بوصفهم فقهـاء. والآن فإذا فحصنا أسلوب الرسائل وجدنا أنه يختلف تماما عن أسـلوب النبوة فالأنبياء كانوا يؤكدون دائما أنهـم يتحدثـون بتفويض من الله: هـذا هو كلام الرب، يقول رب الجيـوش، بأمر الرب...الخ . وليس ذلك في الأحاديث التي يلقونها علنا فقط، بل أيضا في الرسـائل التي تتضمن وحيا .. أما في رسائل الحوار بين فلا نجد شيئا كهذا))[٢٤].

ثالثـاً : طبيعـة النبوة (النبي) عند سـبينوزا واهتمامه بمسائلها

(النبـي) مكانة عظيـم، باعتباره (جوهر مقـدس) أو (ماهية مقدسـة) تتعالى الإنسـان العادي والبشري.

لذلـك، النبي هو الوسـيط الضروري الذي يلتقي فيه القدوس بالعادي وحامل الوحي. النبي هو أيضا كائن متباين من كائنات طبيعية، يمتلك خصائص ومؤهلات حسـية وعقلية اسـتثنائية لقوانين الطبيعة و قوانين الفهم الإنساني. ونتيجة لذلـك، تتمتع أيضا بصفـات الترويح والمطلق: ((إن الأنبياء هم الذين يمارسون عملية المعرفة القائمة على العلامات والخيال))[٢٥].

لا يتـردد سـبينوزا في تخصيـص الفصل الأول مـن كتابـه ((رسـالة فـي اللاهـوت والسياسـة)) لفحـص موضـوع النبـوة، ولكن يمكـن القول إن سـبينوزا يقدم فـي هذا الفصل نظرية النبوة. هذا الترتيب له أهمية كبيرة، لأن مسالة النبوءة تحيل على قضية الوحي.

لذلـك، تبقـى المشـكلة الأولى فـي اختلاط سـبينوزا للعالـم الإلهـي بالعالـم البشـري، أو تشابك الروح الإلهي والإنساني. لطالما عرفت المفاهيـم اللاهوتية الدينية النبـي بأنه (روح) وكلمتـه، التي تقودنا إلى إشـكالية ثانية، تتعلق بالتمييز بين النـور الفطري للنبي من خلال ما هو إنسـان، مفكر، مفكر، مفكر، مفكر وهو من الإثارة لخيل الحصان من ناحية أخرى.

والاشكال الثالث الذي تطرحه قضية النبوة، الذي ينقلنا إلى القضية الجوهرية للنقد التاريخي مركزيـاً للتمييـز بيـن فكر النبي مـا هو تعبير الوحي الأصلي، وفكر الرواة وما يرتبط به من تعدد التقاليد. وحقق المانع بين ما هو حرفي وما هو مجازي.

وهكـذا تقرر أن تكون النبوة مرادفة للوحي إذا يعرفها سـبينوزا بكونها :((المعرفة اليقينية التي يوحي بها الله الى البشـر عن شيء ما [٢٦]، تتحد النبوة في هـذا التعريف كمرادف للوحي. أما النبي، فيقوم بوظيفة تتمثل بكونه ((مفسـراً مـا يوحـي الله به الأمثالـه من النـاس الذين لا يقـدرون على الحصول علـى معرفة يقينية به. ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحدها))[٢٧].

وتتميـز النبـوة بنوع خاص مـن المعرفة، يتميز باليقيـن من اليقين المسـتمد من ارتباطه بالمصدر الإلهي وأوامره الأبدية والازلية.

وهكـذا، فإن النبوة هـي بالضبط نفس نمط اليقين الفطـري الذي يعتمد على مبادئ الضوء الفطري المشترك بين جميع الناس، وهي ليست أقل تأكيدا من المعرفة الإلهية.

إذاً المعرفـة واحـدة لا يوجـد حـق التمييز بيـن المعرفـة. وتتميز النبوة بنـوع خاص من المعرفـة يتميـز باليقين المسـتمد مـن علاقته بالمصـدر الإلهي وأوامـره الأبديـة والأزلية. وهكـذا، فـإن النبـوة هـي بالضبط نفـس نمط

اليقين الفطـري الذي يعتمد على مبادئ الضوء الفطري المشترك بين جميع الناس، وهي ليست أقـل تأكيدا مـن المعرفـة الإلهية علـى الرغم مما يوضحه سـبينوزا للسـمات المشتركة بين كل نبـوة من حيث معرفتهـا الإلهية، والمعرفة البشـرية التي تأتي من الضوء القطري، وعلى الرغم من تأكيدها المستمر لقدرة دماغ الإنسان علـى تكوين صـور للمعرفـة النبويـة لا تقبل تفسـير قوانيـن الطبيعة البشـرية. بمعنى أخر، لا يمكـن أن تكون النبـوة موضوعاً العلم معين قائم على قواعد الطريقة العقلية هذا الأخير غير كاف لتفسير النبوة بالسبب الأول، وعن طريق البراهيـن العقليـة، لأن حقائقهـا تتجاوز حدود المعرفة البشرية.

وإذا أردنا تحديد المسـار الفكري الذي دفع سبينوزا إلى الاهتمام بقضية النبوة، فمن الممكن العودة إلى نقده للكتاب المقدس، الذي هو الوثيقة التاريخية الوحيدة المتبقية من عصر ارتباط الله مع الإنسـان، عن طريق علـم الأنثروبولوجيا عن طريق الأنثروبولوجيا المختارة ثم دراسـة طرائق انتقالها من خلال الرواة قبل التدوين، ثم دراسة مسـالة العلاقة بين الله والنبي، أو قضية النبوة، وما هي معجزات الله التي دعمت أنبياءه لإقناع البشـر بعظمة الله، قوة الله، قضية واحدة إلى أخرى، عند الدراسـة، نتبع مساراً عكسياً، ونحن نبدأ بدراسـة النبـوءة أولا ثم المعجزات ... وهي الطريقة التي سلكها سبينوزا، كما ذكر حسن حنفي في مقدمته لترجمة كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة[٢٨].

كما يبدأ سـبينوزا من تعريفه للنبوة، بقوله: ((النبـوة أو الوحي، هـي المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها الى البشر عن شيء ما والنبي هو مفسـر ما يوحي الله بـه لامثاله من الناس الذين لايقدرون على الحصول على معرفة يقينية به، ولايملكون الا ادراكه بالايمان))[٢٩].

بعد تعريف النبوة المرسلة سبينوزا للتمييز بيـن نوعين مـن المعرفة: الأول هـو المعرفة الفطرية المشـتركة بين جميع النـاس، والثاني هـو المعرفة المسـتمدة من ضـوء فطري، أي العقـل، ثم يطابق بين معرفة الأنبياء، والمعرفة القطرية المشتركة بقوله: النبوة تتطابق تماما مع المعرفـة الفطرية، لأن ما نعرفه على أنه ضوء فطـري يعتمـد علـى معرفة الله وحـده، وعلى أوامـره الأبدية، وبما أن هذه المعرفة مشـتركة بين النـاس لأنها تعتمد على مبادئ مجموعتها، فإن مجموعتها لا تعتمد عليها، ونص سـبينوزا له نتيجتان مهمتان: الأولى أن معرفة الأنبياء لا تتفوق على معرفـة الرجل العادي، بالنظر إلى أن المعرفة الفطرية يشاركها جميع الناس[٣٠].

ويتحدث اسـبينوزا في الفصل السادس من رسالته في اللاهوت عن المعجزات فيقول :

((مثلما يسـمّى العلم الذي يتعدى حدود فهم الإنسـان إلهياً، أي عمل الله، فالعامة يظنون أن قدرة الله وعنايته تظهر أن بأوضح صورة ممكنة إذا حدث في الطبيعة على ما يبدو، شيء خارق للعادة مناقـض لما اعتاد العامـة أن يتصوروه وخاصة إذا كان هذا الحادث بالنسبة لهم فرصة كسـب أو مغنم، وهم يعتقدون أن أوضح برهان على وجود الله هـو الخروج الظاهر على نظام الطبيعة))[٣١].

فحوادث الطبيعـة الخارق عندهم معجزات أو أعمـال الله، لكنـه يقرر ١- لا يحدث شـيء يناقـض الطبيعـة. ٢- نسـتطيع أن نعـرف

بالمعجزات ماهية الله أو وجوده. ٣- أن الكتاب نفسه لا يعني بأمر الله ومشيئته[٣٢].

ثم يصل في مناقشاته لهذه النقاط الى ((أن آية معجزة تناقض الطبيعة أو تتجاوز الطبيعة هي امتناع محض وبالتالي لا نستيطع تفسير المعجزة في الكتب المقدمة إلا بوصفها عملاً للطبيعة يتجاوز الفهم الإنساني أو تعتقد أنه كذلك))[٣٣]. فأوامر الله ووصاياه ليست في الواقع إلا نظام الطبيعة.

رابعاً : الصلة بين النبوة والمعرفة واليقين

ويكشف سبينوزا مفهوم للمعرفة الكافية ويعرفها بقوله ((أعني بالفكرة الكافية فكرة إذا ما نظر إليها في ذاتها، دون إضافة الى الموضوع، كانت لها كل خصائص الفكرة الصحيحة أو مميزاتها الباطنة))[٣٤]. عن تفاؤل لا مثيل له في القوى المعرفية للإنسان. حتى ديكارت لم يعتقد أنه يمكننا معرفة كل الطبيعة وأسرارها الداخلية بدرجة العمق واليقين التي اعتقد سبينوزا أنها ممكنة. والأهم من ذلك، لأن سبينوزا أعتقد أن المعرفة الكافية لأي شيء، والطبيعة ككل، تنطوي على معرفة جوهر الله وكيف ترتبط الأشياء بالله وسماته، لم يكن لديه أي تعارض بشان الادعاء بأنه يمكننا، في على الأقل من حيث المبدأ، اعرف الله تماما وبشكل كاف. إن معرفة جوهر الله الأبدي واللامتناهي التي تنطوي عليها كل فكرة كافية وكاملة العقل البشري الأبدي معرفة كافية بجوهر الله الأبدي واللامتناهي لا يوجد فيلسوف آخر في التاريخ كان على استعداد لتقديم هذا الادعاء.

منهج سبينوزا بالمعرفة :

((أنه لابد قبل كل شيء من التفكير في وسيلة لشفاء العقل وتطهيره قدر الإمكان))[٣٥] وهذه الوسيلة هي التمييز بين ضروب المعرفة. وهناك معرفة سماعية تصل إلينا بالفعل وعن طريق السمع فأننا نعرف عن ((طريق السمع فقط في يوم ميلادي، ومن والدي، وأشياء وأخرى، ماشككت فيها ابدا. واعرف بالتجربة المبهمة انني سأموت ... وأعرف بالتجربة المبهم ايضا ان الزيت وقوت للنار وأن الماء يطفئها، وأن الكلب حيوان نابح والانسان حيوان ناطق))[٣٦]، وأصل اعتقادنا بهذه الأفكار وأمثالها أننا لم نصادف ظواهر معارضة تها، دون أن يكون لدينا ما يثبت لنا عدم وجود مثل هذه الظواهر، الضرب الثاني معرفة عقلية استدلالية تستنتج شيئاً من شيء، كاستنتاج العلة بالمعرفة[٣٧].اما الضرب الثالث من ضروب المعرفة انه ((يقدم لنا فكرة الشيء، كما انه يسمح بالاستنتاج دونما خوف من الوقوع في الخطأ . الا أنه لا يفيد بذاته في بلوغ الكمال))[٣٨] وهذا الضرب الثالث ندرك ذاتناً، ليس فقط كجزء من الطبيعة، مما يدع مجالا لضرب من التمييز والتضاد بين الإنسان والطبيعة، بل ندرك ذاتنا صادرة عن طبيعة الله، إذ إن الفرد في حقيقة الأمر فكرة مجردة، وليس الموجود الحق هو الفرد منفصلاً عن الكون، ولا القانون الذي يربط الفرد بالكون، بل الكون نفسه معتبرا، لا كجملة أجزاء، بل كوحدة جوهرية حاصلة في ذاتها على علة وجودها[٣٩].

وبعبارة أخرى: ((إن النفس سرمدية من حيث هي حاصلة على معرفة الحقائق السرمدية؛ وكلما ازدادت معرفتها ازداد حظها من الخلود، فإن الخير الوحيد الذي يدركه عقلنا والخير الخلقي ما أنمى العقل، والشر ما انتقصه

وأفسده. وذلك هو الدين الحق الذي نجده في نفسنا))[٤٠].

وفي ختام حديثنا عن موضوع المعرفة عند سبينوزا، كان هناك تمايز بين أنواع المعرفة جعلت من المعرفة بان التي تأتينا عن طريق الأخبار والإشاعات أول أنواع المعرفة كمعرفة تاريخ ميلادي، لتأتي ثانيا تلك المعرفة التي تحصل عن طريق التجربة الغامضة كاكتشاف الطبيب العلاج لمريض ما من خلال التأثير بالإيجاب في حين أن ثالث أنواع المعرفة ما يأتينا عن طريق الاستدلال أو المعرفة التي تصل إليها عن طريق التفكير، وأرقى أنواع المعارف هو الذي يأتي عن طريق الاستدلال السريع والإدراك المباشر كإدراك أن الكل أكبر من الجزء. فهو بذلك يجعل المعرفة العقلية الحدسية أفضل أنواع المعرفة وأرقاها[٤١].

وهذه وسيلة التمييز بين ضروب المعرفة وتقدير قيمة كل منها للاهتداء إلى المعرفة الحقة التي تنحصر في ثلاثة ضروب: الأول منها الاستقراء العامي أي إدراك الجزئيات، أما الثاني فهو معرفة عقلية استدلالية تستنتج شيئا من شيء، في حين أن الثالث هو معرفة عقلية حدسية تدرك الشيء بما هي المنهج أكثر من ضروري لدحض كل والتأويلات التعسفية للكتاب المقدس والمبنية على الخرافة والأوهام[٤٢].

اليقين :

يذهب سبينوزا في الفصل الثاني من رسالته في اللاهوت والسياسة الى القول: ((انتهينا في الفصل السابق – كما أشرنا من قبل الى تمتع الأنبياء بقدرة أعظم على الخيال الحي لا بفكر أكمل))[٤٣].

ويعلق محقق الرسالة بالقول : ((يضع سبينوزا نظريته من أول الفصل وهي أن للأنبياء خيالاً خصباً، ولكل خياله الخاص المتفق مع مزاجه وبيئته وثقافته وابتدأ من هذه النظرية يصل الى أخرى وهي أن النبوة جزء من الخيال))[٤٤].

وسبينوزا يقول في هذه الرسالة ((ولكي أسير في بحثي بترتيب منظم سأبين أولاً اختلاف الأنبياء وفيما بينهم لا في الخيال والمزاج الجسمي الخاص بكل فهم فحسب، بل أيضاً في الآراء التي تشبعوا بها، بعد ذلك وأشرح بإسهاب ما يترتب على ذلك من النبوة لا تعطي الأنبياء علماً أكثر، ولكن ينبغي قبل ذلك أن اتحدث عن اليقين الخاص بالأنبياء لأنه يتعلق بموضوع هذا الفصل كما يساعد على ما نريد البرهنة عليه))[٤٥]. أو على هذا الأساس يؤكد ((أن مجرد الخيال لا يتضمن بطبيعته اليقين، على نحو ما تتضمنه كل فكرة واضحة ومتميزة، بل إن من الضروري للحصول على اليقين أن نضيف الى الخيال شيئاً ما هو الاستدلال، ويترتب على ذلك أن النبوة لا تتضمن بذاتها اليقين، ما دامت تعتمد كما بينا على الخيال وحده، وإذن فالأنبياء لم يكونوا على يقين من الوحي الذي وهبهم الله إياه عن طريق الوحي نفسه، بل اعتماداً على آية أي علامة))[٤٦].

ومع هذا يقوله : ((وبالرغم مما قد يثيره ذلك من شكل قوي في النبوة وفي الوحي، فإنهما ينطويان على درجة كبيرة من اليقين كما قلنا من قبل، لأن الله لا يخدع الاتقياء والأصفياء مطلقاً))[٤٧].

الخاتمة

في ختـام بحثنـا، تلخص أهـم النتائج التي توصلنا إليها، وهي:

لـم تكن فلسـفة الهولندي باروخ سـبينوزا منفصلـة عـن سـابقتها، وهـي نتاج عـدد من العوامـل والظـروف مـا سـاهم بطريقـة أو بأخرى في تحديد التوجه الفكري سبينوزا على غـرار ذلـك التحول الـذي عرفتـه أوروبا مع فجر عصـر النهضة والتحول فـي نمط الحياة هنـاك في مختلف المجـالات، وخاصة الجانب حركـة الإصـلاح الفكري والدينـي التي ثارت ضد ممارسـات الكنيسة وسـيطرت على جميع جوانب الحيـاة الفرد الأوروبـي، الأخير الذي بدأت رحلته التحررية ظهور الميول الإنسـانية التي صنعته الإنسـان هو محور اهتمامها، وما سـاعده أيضا في توجيهه هو ظروف الحياة في هولندا التي سـاعدت في نوع من حرية الفكر، حتى لو كان ملجأ للمظلومين في بلادهم.

اعتبـر سـبينوزا أن النبـوة هـي مجـرد انطباعـات حيـة تتعلق بالخيـال. أما بالنسـبة للمعجـزة، فهـو يـرى أن الأفعـال التي تحدث تتعـارض مع نظام الطبيعة ويطلق عليها الناس معجزة، لكنهم يجهلون سببها.

يمكـن معالجة النبوة والمعرفـة واليقين إما فلسـقيا أو لا هوتيـا. إن أدعاء سـبينوزا بان ما ذكر هو هدف فلسـفي بيت النبوة هي موضوع اللاهوت هو تعسـفي بقدر ما يحصل. أعتقد أننا الأن فـي وضع يسـمح أنا بتلخيـص الجوانب المختلفـة للأهـم المشـكلة، وهـو عدم تناسـق سـبينوزا : على الرغم مـن التزامه القوي تجاه نفسه.

أظهر سبينوزا بنجاح أن موضوع اليقين لا يأتـي من العقل، يتحقق اليقيـن الذي يطمح إليه النبي من خل علامة خيالية مثل النبوة نفسها.

يسـتنتج من العهد القديم اسـتخدم العديد من المصطلحات للإشارة إلى معنى واحد، وأهمها: الرائـي، الناظـر، رجـل الله، حالـم الأحـلام حارس، ملاخ يهوه، الراعي، رجل الرزح ....، وصلت إلى المفهـوم النهائي من كلمة النبي أن النبـي هو موهبـة إلهية أو هبة إلهية لاسـتقبال ونشـر الرسـائل السـماوية، ومن وجهة النظر التاريخية، لا يختار النبي مهنته، لذلك يختار.

أن كلمة النبي انتقلت من مرحلة إلى أخرى حسـب مراحل الفهم التاريخـي وتأثيرها على الأمـم والشـعب الآخر الذي عاشـه اليهود بين ظهورهم .

تحول هياكل إسرائيل من صيغة الرازي او الرائي إلى صياغة النبي واستخدامهم لها نتيجة احتكاكهم في العرب.

تختلف طرق الانتقاء وتلقي النبوة، بخلاف طـرق التنبؤ كمـا هو مذكور فـي العهد القديم، بينهمـا، والكثيـر منهـا غير مقبـول للعقل ولا المنطق.

نتيجـة لتوسـيع مفهـوم النبـوة فـي الفكر اليهـودي، أدى ذلك إلـى حقيقـة أن العديد من أنبيـاء النبوة فيها، والتي شـملت حتـي الكهنة والعارفيـن، وكانت نتيجة لتحريف العهد القديم الذي أدرجوا فيه. كثير من الرزايا، مثل الذنوب والكبائر ونسبها إلى الأنبياء.

الهوامش

(١) انظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة،ط١، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠١٢، ص١١٣ وما بعدها. وأنظر : وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة : محمود سيد أحمد، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٠، ص١١١ وما بعدها.

(٢) ويكيبيديا، سبينوزا : ar.m.wikipedia.org

(٣) سبينوزا، علم الأخلاق، ترجمة : جلال الدين سعيد، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٩، ص٣١.

(٤) وللمزيد عن مؤلفاته أنظر :رسالة في اصلاح العقل، ترجمة: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، ص٩، وما بعدها. كذلك : يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١١٤. وكذلك فؤاد زكريا، اسبينوزا، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧، ص١٦ وما بعدها.

(٥) إسماعيل بن حماد الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج١، ص٧٤ – ٧٥.

(٦) الزبيدي، تاج العروس،ج١، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج، ج١، ص٤٤٨.

(٧) يحيى كمال، المعجم الحديث عبري عربي، ص٢٩٤.

(٨) قاموس قوجمان، ص٥٢٦.

(٩) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة ك حسن حنفي، ومراجعة : فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠، ص١٢٩.

(١٠) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص١٣٠.

(١١) د. المسيري، الموسوعة، مج٥، ج٢، ص١١٠.

(١٢) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص١٢٣.

(١٣) الكتاب المقدس، ٢ الملوك، ١٣ : ١٩.

(١٤) صموئيل : ٩ : ٩. أنظر أيضاً : ٢ صموئيل، ٢٤ : ١١. و ١ أخبار الأيام، ٢٩ : ٢٩. و٢ أخبار الأيام ٢٩ : ٢٥. وقاموس : ٧ : ١٢.

(١٥) ربحي كمال، المعجم الحديث عبري عربي، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٧٥، ص١٦٢. أنظر أيضاً: قاموس قوجمان، ص٢٤٤.

(١٦) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص١٢٣.

(١٧) ادريس محمد يوسف، النبوة والنظم المعرفية في النصوص المقدسة (الكتاب المقدس انموذجاً) : قراءة في سلطة الواقع السياسي والاجتماعي، العددان (٩، ١٠) من مجلة اداب القيروان، كلية الاداب والعلوم الانسانية بالقيروان، ص١٣٧.

(١٨) يوحنا، ٣ : ٢٦.

(١٩) يوحنا، ٣ : ٢٨.

(٢٠) متى، ١١، ٩ . ١٠.

(٢١) اعمال الرسل، ١٣: ١.

(٢٢) أعمال الرسل، ١٤: ٥.

(٢٣) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص ٣٣٥ وما بعدها.

(٢٤) أنظر : سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسية، ص٣٣٥ – ٣٣٧.

(٢٥) سبينوزا، الاتيقا، ترجمة ودراسة : احمد العلمي، الجزء الثاني، فلسفة سبينوزا من خلال الاتيقا، اطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الفلسفة، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ٢٠٠٣- ٢٠٠٤، ص١٨٧.

(٢٦) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسية، مرجع مذكور، ص١٢٩.

(٢٧) المصدر السابق، ص١٣٠.

(٢٨) سبينوزا، رسالة عن اللاهوت والسياسة، مقدمة من المترجم، ص٤٤.

(٢٩) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(٣٠) المصدر نفسه، ص١٢٠.

(٣١) سبينوزا، رسالة عن اللاهوت والسياسة، ص٢٢٩.

(٣٢) أنظر : المصدر السابق، ص٢٣٠.

(٣٣) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسية، ص٢٣٦.

(٣٤) فؤاد زكريا، سبينوزا، ص٧٠.

(٣٥) أنظر : سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، ص٣٢ وما بعدها. وأنظر : فؤأد زكريا، اسبينوزا، ص٧١ – ٧٢.

(٣٦) رسالة في اصلاح العقل، ص٣٢، وانظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٠٨-١٠٩.

(٣٧) انظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ١٠٩ وانظر كذلك : فؤاد زكريا، سبينوزا، ص٧١.

(٣٨) سبينوزا، رسالة في اصلاح العقل، ص٣٥.

(٣٩) أنظر: زكي نجيب محمود وأحمد امين، قصة الفلسفة الحديثة، ط١، ٢٠١٩، ص٧٨..

(٤٠) يوسف كرم، ص١١٦.

(٤١) أنظر: يوسف كرم، ص١١٥.

(٤٢) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٠٨.

(٤٣) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسية، ص١٥١.

(٤٤) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسية، ص١٥١. هامش (١) للمحقق.

(٤٥) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسية، ص١٥٢.

(٤٦) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسية، ص١٥٣.

(٤٧) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسية، ص١٥٥.

قائمة المصادر والمراجع

- ادريس، محمد يوسف، النبوة والنظم المعرفي في النصوص المقدسة (الكتاب المقدس انموذجا) : قراءة في سلطة الواقع السياسي والاجتماعي، العددان (٩، ١٠) من مجلة أداب القيروان، كلية الاداب والعلوم الانسانية بقيروان.
- إسماعيل بن حماد الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ج١.
- اروخ سبينوزا: الفلسفة مدخلا لفهم العلم بمحتوى مترجم، المصدر: Psychology Now، التاريخ، ٢٠١٦/١٢/٠١ الكاتب Zoran : Vukadinovic.
- الخالدون من أعلام الفكر، أحمد الشنواني، ج١، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧.
- د. المسيري في الموسوعة مج٥ . ج٢.
- د. جعفر آل ياسين، الفاربي في حدوده ورسومه، عالم الكتب، بيروت، ١٠٥ه/١٩٨٥م.
- ربحي كمال. المعجم الحديث عبري عربي.
- الزبيدي. تاج العروس. الجزء الأول، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج، ج١.
- سبينوزا، الاتيقا، ترجمة ودراسة : احمد العلمي، ج٢، (فلسفة سبينوزا من خلال الاتيقا)، اطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الفلسفة، كلية الاداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، ٢٠٠٣-٢٠٠٤.
- سبينوزا، رسالة في اصلاح العقل، ترجمة: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس ١٩٩٠.
- سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة : حسن حنفي، ومراجعة: فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠.
- صموئيل ٩ : ٩، ٢ صموئيل ٢٤ : ١١. و١ أخبار الأيام ٢٩ : ٢٩. و٢ أخبار الأيام ٢٩ : ٢٥. وقاموس ٧ : ١٢.
- فؤاد زكريا، سبينوزا، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧.
- الكتاب المقدس، ٢ الملوك : ١٣ : ١٩.
- وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد، ط١، بيروت، ٢٠١٠.
- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢.

موسوعة ستانفورد للفلسفة

Web: https://www.idaat.com/spinoza-philosophy-entrance-science-relevance/

Prophecy in Spinoza›s Philosophy

Inst. Mervit Tahir Kukaz (PhD.)

Mustasiriyah Univ./ College of Arts/ Dept. of Philosophy

Abstract

Spinoza›s intellectual orientation is determined by the transformations that Europe saw with the advent of the age of Renaissance; transformations were in all aspects of life, particularly, the movement for intellectual and religious reform which revolted against the church practices and dominated all facets of the life of the European individual, the emergence of humanity-oriented tendencies that have placed man at the center of their attention. What helped Spinoza in his intellectual direction are the conditions of life in the Netherlands that enjoyed some kind of freedom of thought.

The present research paper touches on talking about the Old Testament and how many terms have been used therein to refer to one single meaning, the most important of which are: the seer, the beholder, the man of God, the dreamer of dreams keeper, the angel of Jehovah, the shepherd, the man of soul...., concepts which formed the ultimate concept of the word of prophet. The study addresses how prophecy, knowledge, and certainty can be accounted for either philosophically or theologically, especially when it comes to Spinoza›s thinking. In conclusion, we summarize our most important findings.

Keywords :prophecy, Spinoza, knowledge, certainty, theology